الغرب ودراسة الإسلام

حضرتْ لمقابلتى فتاة أمريكية تدرس « الإسلام » فى جامعة أكسفورد بإنجلترا ، وهى تعدّ بحثها للحصول على درجة الماجستير Master عن كتابى « الإسلام السياسى » . كانت قد اتصلت تليفونيا من أكسفورد لتحصل على موعد المقابلة التى رجت منها أن تتعرف على بعض البيانات التى تتصل بظروف كتابة الكتاب ، ورد الفعل الذى حدث فور نشره ، وأثر ما ورد فيه من آراء على الفكر الإسلامى المعاصر . ما إن جلستْ الفتاة أمامى حتى لاحظتُ أنها مضطربة ؛ وهو الأمر الذى يحدث عادة للطالب الذى يجلس إلى أستاذه أول مرة ، أو الشعور الذى ينتاب الشخص عندما يقابل مثلا له أو نموذجًا عنده ، تلطفتْ فى الحديث حتى ألّين الموقف ، فأدرته حول أكسفورد ولندن والقاهرة ونيويورك ، حتى هدأت الطالبة فأخرجت أوراقها لتبدأ فى تسجيل مايجرى بيننا من حوار .

سألتها ابتداء عن سبب اختيار كتابى ليكون موضوع دراستها لرسالة الماجستير ؟

فقالت : إن قسم الدراسات الإسلامية فى الجامعة كان يدرس فى العام الماضى (١٩٩٥ - ١٩٩٦) الفكر الإسلامى المستنير فى العصر الحديث من خلال مؤلفات وآراء محمد عبده ومحمد

سعيد العشماوى ، وأنها قرأت الكتاب مع زملائها وأساتذتهم ، فاختارته – بتزكية أحدهم – ليكون موضوع رسالتها . لاحظت أنها تتكلم العربية الفصحى بسلاسة فسألتها عن اللغة التى قرأت بها الكتاب ، وأجابت بأنها قرأته فى نصه العربى ثم قرأت الترجمتين الإنجليزية والفرنسية .

قلت لها حسنًا ، وما هى أسئلتك ؟

قالت : إن أول سؤال لها يتحصل فى أنها قرأت فى دراسة نُشرت عنى فى لندن ما مفاده أنى صُدمت للهجوم الذى حدث علىّ فور نشر الكتاب سنة ١٩٨٨ ، وأننى لم أكن أتوقع أن يكون الهجوم بهذه الصورة ، فلماذا حدث ذلك من جانبى ؟

قلت إننى عُينت معاونًا للنيابة العامة فور تخرجى فى كلية الحقوق ، ثم عملت طوال حياتى فى السلك القضائى بكل درجاته ، وكيلا للنيابة ، وقاضيًا ، ورئيسًا للنيابة ، ومستشارًا ، ورئيسًا للمحاكم العليا ، فربيت ونُشئت عمليا فى أحضان التقاليد الرفيعة النظيفة ، والكلمات المهذبة المحسوبة ، ذلك أن كل العاملين فى القضاء ، ومعه ، يتصرفون وفق لياقات معينة وحسابات خاصة وعبارات مرسومة ، يتداولها رجال القضاء ، ومن يخاطبونهم من المحامين ورجال الشرطة ، والأطباء الشرعيين والخبراء وموظفى المحاكم ، بل إن بعض المترددين على المحاكم من الجمهور ، وعتاة المجرمين ، تعلموا مفردات هذا الخطاب وأسلوب أدائه ، لذلك

فلقد كنت أتوقع أن يكون أى رد على كتاباتى مهذبا ، يُقدّم فى شكل علمى ويُصاغ فى بيان أدبى ويُفرغ فى لياقات طبيعية ؛ شأنه فى ذلك شأن صحف الطعون على الأحكام بالاستئناف أو بالنقض ، فهى تنعى ما تنعاه على الحكم ، لا على هيئة المحكمة ، ولا على شخص القاضى أو القضاة . وهى لا تسترسل فى عبارات إنشائية ، ولا تكتب ما لم يرد فى الحكم ، ولا تقدم فهم الطاعن لما جاء فى الأسباب ، بل إنها تحرّر بأسلوب علمى قضائى يورد نصًّا ، وبين قوسين ، ما ورد فى الحكم بألفاظه ، وفى سياقه ، ثم يفنّده وينقده ، بالدليل القانونى الموثق بالمراجع والأحكام القضائية ، وبالسند الموضوعى الثابت قطعًا فى الأوراق . هذا ما كنت أتوقعه فى الرد علىّ ، ولكنى لم أجده ولا وجدت شيئًا منه ، لكنى فوجئت بالسباب والتحريف والاتهام مما لاحظه كثير من الكتاب فى مصر ، وخارجها ، حتى كتب بعضهم يقول إن ما وجّه إلى لم يكن نقدًا بل كان مشتمة .

قالت الطالبة : وهل فيما وجه إليك من نقد شيئا استفدت منه ؟

قلت : مطلقًا ، وهل يستفيد المفكر من تهجم عليه يُحرّف أقواله ويزيف آراءه ويكيل له السباب ويتهمه زورا بالكفر والإلحاد ؟ أقول لكِ شيئًا لقد تعودت وأنا قاض أن أبحث عن صحف استئناف الأحكام التى كنت أصدرها فى بعض القضايا المهمة ، بقصد التعرف على وجهة نظر الطاعن ، وبعضهم محامون كبار أجلاء ،

لعلّى أستفيد من قصور ورد فى الحكم أو نقص جاء فى الأسباب (الحيثيات) ، وقد استفدت من بعض الطعون ، فعمدت بعد ذلك فى كتاباتى لأسباب (حيثيات) الأحكام أن أردّ سلفًا على مايمكن أن يوجه إلى الحكم من مطاعن ، وهو الأمر الذى دعا بعض كبار المحامين فى مصر إلى أن يقولوا لى إن الطعن على الأحكام الصادرة منى مهمة شاقة ، وقد تكون بلا جدوى . هذا هو أسلوبى القضائى الذى عُرف عنى وشهر فى أوساط القضاء والمحاماة ، خاصة وأن الأحكام تُعلن وتقرأ وتتداول وتنشر ، بحيث يكون الرأى العام عنها أقرب إلى الصدق وأدنى إلى الحقيقة . ولاشك أنى أفدتُ من هذا المنهج فى كتابة كتبى ، بما ساعد فى تفريغ أى نقد من كل مضمون جدى ، وانزلق به من عمل موضوعى إلى ذم شخصى ، كما انحدر به من جدل علمى إلى سباب وشتائم .

قالت الطالبة : لقد لاحظنا ذلك ، أساتذة وطلابا ، ونحن ندرس أعمالك فى العام الماضى ونتابع ما وُجه إليها من نقد ؛ لكنا علّلناه بأسباب أخرى ؛ منها ضعف ملكة النقد عمومًا فى العالم العربى ، واتجاه مايسمى بالنقد إلى أن يكون مجاملة أو مخاصمة ، هذا بالإضافة إلى العامل الشخصى لدى من يكتبون فى نفس المجال ومايمكن أن يكون لديهم من غيرة ذاتية من شخصك ومن أعمالك ، فضلاً عن أنك وجهت نقدًا صائبًا واضحًا إلى أفكار جماعات الإسلام السياسى فقوضت كل أبنيتها ، من داخل الإسلام ذاته وعلى أرضيته ، وهذا مما يدفع البعض إلى مهاجمتك بعنف ،

كضرب من الشغل Buisiness . ثم أضافت : لكنا قدّرنا تمامًا التفاتك عن الرد عن السباب والشتائم ومايدخل فى حساب الشغل (البيزنيس Buisiness) واستمرارك فى عملك بلا تردد ولا وجل ، اتباعا للمثل الذى يقول بالفرنسية :

Les chiens aboient, la caravan passe.

أى أن الكلاب تعوى لكن القافلة تسير .

قالت الطالبة بعد ذلك : إن كتاباتك علمية ، وجمهورها من ثم لن يكون عريضا فمن هم الذين تأثروا بأعمالك ، ولماذا لم تحاول الاتصال بالجماهير للتأثير فيها ؟ .

قلت : هذا السؤال هو جوهر الموضوع ، إن مايحتاج إليه المسلمون حقيقة هو تحديث العقل المسلم وتجديد الفكر الإسلامى ، وهو أمر لابد أن يحدث من خلال جهد فكرى منظم ومتكامل ، لايمكن بطبيعته ومنهجه وأسلوبه أن يتحول إلى خطاب للعامة ؛ ذلك بأن عوام الناس – فى كل شريعة – لا يتعاملون بالعقل ولا يتعلقون بالفكر ، لكنهم يتعلمون بالسماع ، ويتأثرون بالإشاعات ، وينقادون بالتراث الشعبى (الفولكلور) الذى يتخالط ببعض المظاهر المعتقدية أو يترابط ببعض الشعائر الدينية ، وكثيرًا ما ينفعل هؤلاء بشخصية يُلحقونها بالتدين خطأ ؛ لكنهم لا يتفهمون الفكر الواضح المنظم ، ولا يتأثرون بالآراء الحقيقية الصادقة مهما كانت قيمتها ؛ فهم فى الواقع ، يتعبدون برموز مشخّصة ،

ولا يُعنون بالأفكار والآراء . لكن تحديث العقل وتجديد الفكر لابد أن يؤثر على المفاهيم الاجتماعية والمضامين التراثية فيؤدى مع الوقت إلى تغيير كامل فى المناخ والنظام الذى يتفاعل به العامة من الناس ، بما يؤدى إلى تغيير شامل إلى الأرفع والأنفع ، فى العقل والفعل الإسلامى على كل مستوياته ، فالمسألة بهذا المفهوم مسألة وقت . التحديث الفكرى والتجديد العقلى يحتاج مدة أطول ، لكن نجاحه أفعل وأوكد ، أمّا ما عدا ذلك فسوف يكون مجرد ترديد قولى أو كتابى لما يشكو المسلمون من آثاره السلبية ، وما يريدون تجديده وتحديثه ؛ أو يكون عملاً سياسيًا يحول العقيدة إلى أيديولوجيا حين يستغل العاطفة الدينية لأهداف سياسية وأغراض حزبية ، وهو أمر يضرّ المسلمين ولا يفيدهم ، ويضيف حركة أخرى إلى مجموع الحركات التى تزايدت على مدى التاريخ الإسلامى ، تكون مجرد إضافة كمية بغير أى تغييرات كيفية . وعلى أية حال ، فإن تحديث الفكر الإسلامى وتجديد العقل المسلم هو فى الوقت الراهن ليس عملاً محليًا أو اقليميا ، وليس اتجاهًا فرديًا أو جماعيًا ، بل إنه فى واقع الأمر عملاً إنسانيا عامًا يتجه إلى البشرية كلها ويهدف إلى الواقع الدولى بأسره ، لأسباب كثيرة منها تشابك العلاقات وتداخل المصالح ووجود المسلمين فى مناطق متعددة بكافة أنحاء المعمورة . ودليل فاعلية عملى الذى يتفهم هذا المنطق ، هو اتجاهك أنت ، الأمريكية التى تدرس فى أكسفورد ،

إلى تحرير رسالة ماجستير عن كتاب الإسلام السياسى ، ودراسه أعمالى فى جامعتكم خلال العام الماضى ، ووجود تلاميذ ودارسين لأعمالى فى كافة جامعات العالم ، منهم حوالى سبعة أشخاص يعدون عنها رسائل دكتوراه Ph . D .

قالت الطالبة : ألم تحاول قط أن تدخل بأعمالك حلبة السياسة وأن تتصل بالجماهير الشعبية فى كافة أنحاء العالم العربى ؟

قلت : لى فى ذلك تجربة ، وتقدير ، أعرضه لأول مرة فى مجال أكاديمى . فى سنة ١٩٦٨ عندما صدرت الطبعة الأولى من كتابى « ضمير العصر » اتصل بى رجل فاضل كان من أعلام السياسة فى عهد ما قبل حركة الجيش (يوليو ١٩٥٢) ثم تحول إلى الأدب والتصوف وتفرغ لهما ،قال لى إنه وصَحْبه (ولم أعرف آنذاك من هم) قرءوا الكتاب ، وأنه يرغب فى لقائى للتحدث بشأنه . حضر إلى منزلى وجلسنا نتحدث فى لقاء طويل ، انتهى بأن قال لى إن له مجموعات من الناس فى القاهرة والاسكندرية وأسوان . تحمل أفكارًا صوفية دينية ، وجدت فى كتابى ذاك بلورة لها وتعبيرًا عنها ، وأنهم جميعًا يبحثون عن زعيم روحى لهم ورائد دينى يتبعونه ، وأنهم بعد ما قرءوا الكتاب فوضوه فى أن يقابلنى ويحادثنى ليستَبر أغوارى ويستجلى أهدافى ، وأنه بعد حديثه معى يبايعنى زعيمًا ورائدًا لهذه المجموعات التى تبحث عن مثلى منذ زمن (كما فى مسرحية لويجى بيراندللو : ست شخصيات

تبحث عن مؤلف) . أصغيت له بهدوء ولم أعده بشيء لكني رأيته متعجلاً فى أن ألتقى بالآخرين وأن أقبل عرضهم علىّ ، تحقيقًا لنبوءة كان قد ذكرها له فلكىّ من السودان . قابلت مجموعات من هؤلاء الناس فى القاهرة وفى الاسكندرية – رغم خطورة مثل هذا العمل سنة ١٩٦٨ – وأداروا معى حوارات انتهت بأن شُغفوا بى وبآرائى وانفعلوا بمبايعتى زعيمًا لهم ورائدا لجماعتهم . بدأت هذه المبايعة واستمرت بتقبيل يدىّ . والائتمام بى فى الصلاة ، والتحلّق حولى عند الحديث ، والصمت الكامل عندما أقول أو أفعل شيئًا ، وإبداء السمع والطاعة لتحقيق أىّ رغبة لى أو طلب مهما كان ؛ وكلما زاد ذلك منهم كان يكثر خوفى ، إلى أن حدث من بعضهم – وأحدهم أستاذ فى الجامعة – أن انكبّوا على قدمىّ يقبلونها مع إبداء آلاء التقدير وآيات التوقير ، فبلغ خوفى منتهاه . ربما كان غيرى يسعد بما حدث ويستمر ويستثمره لصالحه ولتحقيق أغراض يتطلع إليها الباحثون عن زعامة ، خاصة وقد كنت فى أوائل الثلاثينيات من عمرى . بعد تفكير عميق ، أدركت أنى سوف أفسد طبيعتى بهذه المجموعات التى تسعى إلى أن تجعل منى سيدًا مطلقًا فى كل حيواتهم وما يملكون ، وهو أمر لابد أن يجعل منى شيخ طريقة أو يحولنى إلى رجل سياسة ؛ مع أن رسالتى الحقيقية أن أكون مفكرًا إنسانيًا ومصلحًا دينيًا . سحبت نفسى من بينهم بهدوء ، وانطويت على حياتى وقد أزمعت ألا أعيد التجربة أبدًا . ظلوا يطاردوننى بالولاء وبالمبايعات والإغراءات

من مجموعات القاهرة والاسكندرية ، وفى أسوان عندما عينت رئيسا لنياباتها العامة سنة ١٩٧٢ ، لكنى اعتذرت بلباقة ، وأسفت لما لحق بهم من خيبة أمل ، ثم حددت طريقى منذ ذلك الوقت وحتى الآن .

تركتنى الطالبة ورأسى يموج بدوّامات من الأفكار .

منذ القرن الثامن عشر بدأ كثير من علماء الغرب فى دراسة الإسلام من شتى النواحى ومختلف الموضوعات . كان بعضهم موضوعيًا فى دراسته ، وكان بعض آخر غير موضوعى . عمل عدد منهم على انفراد وفى استقلالية ، وعمل عدد آخر فى اتصال مع حكوماتهم ولأهداف سياسية ؛ إذ كانوا يعدون عملهم هذا عونا لشعوبهم ودعمًا لحكوماتهم . ومن أعمال هؤلاء المستشرقين نشأ اتجاه عريض ؛ يوافق المشارب الإسلامية أحيانًا ، ويعارض هذه المشارب أحيانًا أخرى ، ذلك بأن هؤلاء المستشرقين لم يكتبوا ، ويستحيل أن يكتبوا بكل مفاهيم المسلمين وتراثهم ومعتقداتهم وثقافاتهم ، ماداموا غير مسلمين لهم تراثهم الخاص ومعتقداتهم الذاتية وثقافاتهم المختلفة ، والقول بغير ذلك يعنى أن لايكتب عن الإسلام أو المسلمين إلا مسلم ، ولا يكتب عن المسيحية والمسيحيين إلا مسيحى ، ولا يكتب عن اليهودية واليهود إلا يهودى .. وهكذا مما لم يفعله ولا يفعله المسلمون أنفسهم ،

وبما يقيم تفاضلا بين الثقافات ويزرع حوائل بين الناس ، لا مجال حقيقيا لها فى العصر الحديث . ونتيجة لعدم اتفاق ماكتبه بعض المستشرقين مع مشارب المسلمين ، فقد تم رفضه كلية ، وتوجيه الاتهامات العنيفة إليه ؛ ومع هذا فقد استمرت دراسات الإسلام تنمو وتنتشر فى العالم ، غربًا وشرقًا . وعندما زرت الاتحاد السوفييتى سنة ١٩٧٩ حضرت إلى الفندق الذى كنت أقيم فيه بمدينة سان بيتربرج (لينجراد) مستشرقة روسية مشهورة ، تجيد العربية وتدرس الإسلام ، ودعتنى إلى زيارة معهد الدراسات الإسلامية الذى ترأسه ، حيث وجدت مجموعة من الأساتذة الشبان دارسى العربية والإسلامية ، بصورة أدهشتنى ، وقد تابعوا محاضرتى باهتمام شديد ، وناقشونى فيها مناقشة دقيقة .

ومنذ تزايد قد حركات الإسلام السياسى ، وتعالى فكر اتجاهات الإسلام المستنيرة التفتت الجامعات ومراكز البحوث وأوعية التفكير think tanks، فى كافة أنحاء العالم إلى دراسة الإسلام ، قديما وحديثا ، عقيدة وشريعة وفكرًا وفلسفة وتاريخًا وسياسة .. إلى آخر ذلك ، وكانت أول دراسة علمية عن جماعة الإخوان المسلمين دراسة قام بها الأمريكى جون ميتشل للحصول على درجة الدكتوراة ، (ومع أنه بادى التعاطف مع هذه الجماعة فقد ذكر حقائق موثّقة تدينها وتعرى قادتها) . يعنى ذلك أن دراسة الفكر

الإسلامى الحديث ليست مقصورة على دراسة اتجاه واحد – هو الاتجاه المستنير – ولا هى عمل يعطى الفرصة لواحد أو أكثر من المستنيرين ، لكنها دراسة تتناول كافة الاتجاهات الفعالة ومختلف الأعمال المطروحة . وحينما تقام مؤتمرات يكون الإسلام أحد موضوعاتها فإنها تدعو إليها بعض المستنيرين كما تدعو غيرهم من الأيديولوجيين (جماعات الإسلام السياسى) . لكن الذى حدث أنه بعد عدة دراسات ، وعدت مؤتمرات ، وعدة مناقشات ، لاحظ الدارسون من غير المسلمين أن كتاب ودعائى اتجاه الإسلام السياسى لا يقدمون فكرًا ولا فقهًا ، بل شعارات غير مترابطة وغير مُقنعة ، وصياغات لفظية تصبح بلا أى معنى عند التحليل العلمى ، كما تكون بغير مفهوم عند ترجمتها إلى لغة أجنبية (كالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الإيطالية أو الأسبانية أو غيرها) ، ومن ثم فقد حسموا الأمر بحيث يتولوا دراسة حركات الإسلام السياسى ، فى مجموعها ، وكاتجاه حركى يقوم أساسًا على عمل الجماعات ؛ ودراسة الفكر المستنير من خلال آراء وأفكار رائد بعد رائد من قادة هذا الفكر . ولم يفهم ذلك تيار الإسلام السياسى ، وربما نَفَس كتابهم ودعائيوهم على غيرهم ذلك الاهتمام بفكرهم والعناية بدراسته ، ومن ثم جنحوا إلى التشنيع على رواد التنوير ، يزعمون أن الغرب يُعنى بدراسة أعمال الفكر الإسلامى المستنير ، وأفكارى بالذات ، كنوع من المساندة

أو ضرب من المجاملة ؛ وهو أمر مخطئ تمامًا ، فالذى يعرف الغرب جيدًا يعلم أن الناس فيه لا تجامل أبدا ، لا على المستوى السياسى ولا على المستوى الاقتصادى ؛ وبطبيعة الحال ليس على المستوى العلمى ، وإذا جاملت جامعة مثلا ، فكيف تجتمع على المجاملة جامعات محترمة جدا وفى بلاد متعددة مثل هارفارد وبرنستون وكاليفورنيا بالولايات المتحدة ، والسوربون بفرنسا ، وليدن وأمستردام بهولندا ، وروما بإيطاليا ، وأوكسفورد فى بريطانيا ، وغيرها وغيرها . إن هذه الجامعات حين تهتم بفكر معين فلأنها ترى فيه منهجًا علميًا ، ومسلكًا عقليا ، ودراسة جادة ، وكتابة مُوعدة ؛ وهى لذلك لا تعنى باهتمامات متناثرة ، وكتابات متضاربة ، ومقالات مبابة ، ومطبوعات شتامة .

الغرب والشرق يدرس الإسلام والمسلمين بجدية وتتابع وانتظام ، بينما لايوجد بين المصريين ، والعرب والمسلمين من يضاهيهم فى هذه الدراسة أو يواكبهم فيها أو يتابعهم فيما يفعلون ، فما الذى سوف يحدث فى المستقبل ؟ هل يأتى وقت تكون فيه كل دراسات جادة ، محايدة أو معادية ، عن الإسلام والمسلمين ، وعن مصر والشرق الأوسط ، مركزة فى الغرب قادمة إلينا منه ، لتكون مرجعا لنا ودليلاً ؟ ليس الغرب فقط ، بل وإسرائيل أيضا . لقد قرات ترجمة إنجليزية لرسالة دكتوراه قدمها دارس إسرائيلى لإحدى جامعاتها موضوعها « أثر العمالة المصرية فى البلاد الخليجية على

الاقتصاد المصرى » وقرأت ترجمات إنجليزية أيضا لرسالتى ماجستير لباحثين إسرائيليين عن « دور المدرسة فى العهد المملوكى فى مصر » ، « إرهاصات الاشتراكية فى مصر قبل قرارات ١٩٦١ » ، هذا فى الوقت الذى لا يقرأ فيه الشباب المصرى ، أو العربى ، بجدية وتكامل واستمرارية ، وإن قرأ ففى موضوعات عارضة أو سطحية أو مسلية أو غير جدية وغير علمية . وأغلب شباب مصر ، والعرب والمسلمين ، لم يقرءوا تفسيرًا كاملاً للقرآن الكريم ، ولا يعرفون طبيعة الأحاديث النبوية ومدى حجيتها ، ولايستطيعون التمييز بين الشريعة والفقه أوبين الدين والفكر الدينى .. وهكذا ، فبينما يدرسنا غير المسلمين بوعى واهتمام وعلم واستمرارية ، نكتفى نحن بالاستهلاك الترفى والتعلق بالشكليات والتمسك بالهامشيات وتقليد للغير وإعلان الحرب على كل من يعمل أو يجدّ ؛ دون أن نراجع أنفسنا أو نتساءل : من الذى يكون له الحكم والقيادة فى العالم خلال القرون القادمة ؟ من يعلم ويعمل أم من يجهل ولا يعمل ؟

فى التاريخ الإسلامى كثير جدا جدا من المذاهب الفقهية ، والمدارس الفكرية والاتجاهات الحركية ، ومن يقرأ – على سبيل المثال – كتاب « مقالات الإسلاميين » تأليف أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ٨٧٣ – ٩٤١ م ، (وهو يقصد بالإسلاميين أولئك المنتسبين إلى الإسلام مع كون آرائهم باطلة وأفهامهم فاسدة) يدهش من كثرة هذه المقالات – أى المذاهب – منذ بدأ التاريخ

الإسلامى ، فمنها الخوارج بفروعها التى بقى منها حتى الآن الأباضية ، والشيعة الغالية (أى المغالية) ، والرافضة (ومنهم القرامطة) ، والمرجئة ، والمعتزلة (وقد كان الأشعرى منهم ثم خالفهم وخرج عليهم) ، والجهمية .. وغيرهم وغيرهم كثير ، بل إن كل مقالة من هذه المقالات تفسخت إلى فروع لها وخروج عليها ومعارضة لها ونفور منها .. وهكذا ..

وفى العصر الحالى ، أظهر الشيعة الإمامية (فى إيران) مقالاتهم التى كانت خافية على أغلب أهل السنة ومنها ما قاله الشيخ الخمينى علنًا من أن محمدًا ﷺ لم يكمل رسالته ، ومايسبون به أبا بكر الصديق والفاروق عمر بن الخطاب ؛ ومايدعونه من وجود ما يسمى « مصحف فاطمة » الذى استمر به الوحى على فاطمة الزهراء بعد وفاة النبى ، وكان كاتبها فيه على بن أبى طالب ، هذا فضلا عن أنهم يجيزون زواج المتعة التى يرى أهل السنة تحريمه .. وهكذا ..

وفى مصر والعالم العربى كثير من البدع الدخيلة على الإسلام ، معنى ومبنى ، روحًا ونصًا ، والاستطراد فى تعدادها قد لا يكون مناسبا للسياق .

متى كان الأمر كذلك فلم لايتجه كتاب ودعائيو الإسلام السياسى إلى التصدى للمقالات المسيئة للإسلام ذاته ، أو إلى ما يذيعه بعض الشيعة الإمامية عن عدم إكمال النبى ﷺ لرسالته ،

ووجود قرآن غير القرآن ، ومصحف سوى المصحف ؛ أو أن يقفوا عملهم على تنقية الممارسات الإسلامية من البدع والمضلالات ، أو أن يفندوا أقاويل الإرهابيين ويندوا بأعمالهم .. إلى آخر هذه الجهود التى لابد منها لتصحيح صورة الإسلام فى الداخل والخارج ، وتجديد الفكر الإسلامى بصورة تجعله فعالا فى العصر الحديث وباعثا للروح فى المسلمين وللصدق فى ممارساتهم .. لم لا يفعلون ذلك ، ويترصدون فقط لمفكر أو أكثر من مفكرى الإسلام المستنيرين ؟ هل مثل هذا الترصد ، والادعاء بالباطل ، والرمى بالأكاذيب ، أمر مفيد للإسلام أم لهم شخصيًا ؟ وهل يؤثر عملهم ، مهما طال وزاد ، على حركة التاريخ فيقفها ، أم على دورة الفكر الإنسانى فيقلبها ، أم أنه فقط يبدد جهود المسلمين ويشتت عقول الناس ؟

الواقع الدولى فى تغيير وتبديل ليصل إلى أوضاع غير معرفة وغير معهودة من قبل ، حيث تفسح سلطات الحكم ومراكز القرار ومجالس التشريع المحلية ، فى كل بلاد العالم ، مكانا فيها أو مجالا بها لهيئات ومؤسسات ومنظمات دولية أو عالمية أو ذات نشاط شامل Global (مما يترجم خطأ إلى لفظ كونى) ، مثل الأمم المتحدة ومنظماتها الخاصة مجلس الأمن واليونسكو والفاو ، وصندوق النقد الدولى .. وغيرها ، والمصارف الدولية والشركات العالمية والمتعددة الجنسيات Multi Nationals، ومراكز الاتصالات الدولية ، والمنظمات غير الحكومية ذات الطابع العالمى ، وبعض الجامعات ومعاهد البحوث ومراكز الدراسات وأوعية التفكير

think tanks وما إلى هذا ؛ ذلك بأن هذه الجهات تؤثر بقراراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وبالبحوث والدراسات والمؤتمرات ، على أغلب مايصدر عن صناع القرار في العالم أجمع من أعمال ، وهو أمر يغير من مبدأ السيادة المحلية شيئًا فشيئًا ليضع إلى جانبه اعتبارات واتجاهات وملاءمات الهيئات والمؤسسات والمنظمات الدولية والعالمية وذات النشاط الشامل ، مما لا يمكن تجنبه أو إهماله أو عدم إدخاله فى الحسبان . ويعنى ذلك ان الدراسات التى يقوم بها شباب فى جامعات العالم عن الإسلام ، وعن الشرق الأوسط ، وعن مصر ، سوف يكون لها أثرها الفعال على صانعى القرارات ، سواء كان ذلك على المستوى العالمى أو الإقليمى أو المحلى ، بصفة مباشرة أو بصورة غير مباشرة . وإذ كان شبابنا فى غيبة عن هذا ، كما أن كتاب ودعائيى الإسلام السياسى يزيفون الناس عن هذا المفهوم ويبلبلون الأفكار كى لا تستوعب هذا الإدراك ، فإن النتيجة المحتومة أننا نلقى بمصائرنا فى أيدى الغير ، ونرمى مقاديرنا إلى أجانب عنا ، ولا نعمل فى وعى وتخطيط وفاعلية على إدراك الآفاق العالمية الجديدة والأوضاع الدولية البازغة ، وعلى الإسهام فيها بنصيب يجعل لنا جانبًا أو حتى كلمة فى اتخاذ القرارات العالمية ، وصياغة البحوث الدولية التى تمتد إلى كل مناشط الناس وكل منافذ الحياة — على مستوى المعمورة — لتؤثر فيها وتشكل واقعها وتحدد مستقبلها .

هذا نذير ، فهل ندركه بوعى أم نهمله بغفلة ،

على قرارانا سوف يتوقف مصيرنا .